مدرسة الإسكندرية

الشهادة بحسب الإنجيل (٤)

الراهب سارافيم البرموسي

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد السابع - ٢٠١١

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٧

الشهادة بحسب الإنجيل (٤)

الراهب سارافيم البراموسي

مدرسة الإسكندرية

الشهادة بحسب الإنجيل (٤)

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة
R-center@alexandriaschool.org

ليست المسيحيّة إلاّ قوّة الله
عندما تُضطهد في العالم
ويتّجه ضدّها مقت الشرّ

القديس إغناطيوس الأنطاكي (الرسالة إلى روميه)

توقفنا في مقالنا السابق عند حادثة مقتل استفانوس وسط غضبة شعبيّة من عامّة اليهود الذين تلاعبت بهم أصابع قادتهم ولكن من وراء الستار. نتج عن استشهاد القديس استفانوس أن بدأ الاضطهاد الشعبي من جموع اليهود يقترن بالاضطهاد الرسمي لقادة اليهود، وقد تعاهدوا معًا على إبادة المسيحيّة، معاهدةً لم تُدوّن على وثيقة ولكن تجمّعت خيوطها لخدمة مصالح جميع الأطراف مزكّاة بغيرة ليست حسب المعرفة.

حينما سأل الإسكندر الأكبر أحد الفلاسفة: "إلى متى يحرص الإنسان على حياته؟" أجابه: "إلى أن يشعر بأنّ الموت أفضل من الحياة"، فالموت لن يتقدّم على الحياة إلاّ إذا كان مَعبَرًا لحياةٍ أسمَى وأبهج، كانت تلك قناعة المسيحيين الأُوَّل.

كانت رماح الاضطهاد تُسنّ في وجه الكنيسة لا لشيء إلاّ أنّها تبشّر بقيامة الربّ يسوع. فالقيامة هي رحمٌ جديدٌ انطلقت منه أشعّة الرجاء لمستوطني الظلمة وظلال الموت. لقد كتب القديس بطرس في رسالته: «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (١بط ١: ٣). تلك كانت بشارة الرجاء التي يطلقها الرسل ليل نهار.

لم يكن الاضطهاد بسبب ممارسات لاأخلاقيّة، ولا طموحات سياسيّة، ولا تنظيمات تستهدف استقرار البلاد، ولا بسبب محاولات انقلابيّة ثوريّة تطمح في الحُكم، فقط لأنّ إعلان الكلمة هو جزءٌ أصيل في صميم الإيمان المسيحي، ونشر البشارة هو وصيّة إلهيّة، ولأنّ اسم المخلِّص لا يتوقّف عن الانبعاث من شفاه المسيحيين الأوائل.

"لاسم يسوع نرى أناسًا قبلوا ويقبلون أن يُعذّبوا بدلاً من أن يجحدوه، لأنّ كلمة حقّه وحكمته أكثر اضطرامًا وضياءً من قوّات الشمس، ويتسرّب إلى أعماق القلب والروح"[1]

إنّ تلك الكلمات هي ليوستين الذي مات شهيدًا على اسم المسيح (١٦٥ - ١٦٦).

التشتُّت الكرازي

لقد بدأت أعاصير الاضطهاد تحيط بسفينة الكنيسة؛ « .. وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ، فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُوَرِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، مَا عَدَا الرُّسُلَ» (أع٨: ١). التشتُّت هو أحد صيغ التعامل مع الاضطهاد الذي أصبح يمثّل تيارًا في أورشليم. هنا ونلحظ أن الرسل لم يبرحوا أورشليم ولم يتركوا حلبة الصراع؛ فالحقّ يجب أن يعلن، والجموع متمركزة في أورشليم حيث الهيكل، فالكرازة التي تنطلق من أورشليم ستجد لها مكانًا في كلّ ربوع المسكونة مع الحجيج القافلين إلى ديارهم.

لم يكن التشتُّت فعلاً سلبيًّا للجماعة المسيحيّة الأولى، فهو لم يقترن بالاختباء من لهب الاضطهاد ولكنه كان مقرونًا بمدّ رقعة البشارة بالملكوت إلى التخوم المجاورة؛ «فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (أع٨: ٤). هنا ونلحظ أنّ مجابهة الاضطهاد إمّا يكون بقبول الألم والموت في يقينيّة الرجاء بملكوت الله، وإمّا بالخروج من بؤرة الأحداث مع الحفاظ على العمل الإيجابي

[1] القديس يوستينوس، الحوار مع تريفون، تعريب الأب جورج نصور (الكسليك: جامعة الروح القدس، ٢٠٠٧)، ٣٤٥.

وهو هنا الكرازة بقيامة السيّد. لذا فإنّ الهروب الخامل لم يكن أحد خيارات الكنيسة الأولى بأي شكل من الأشكال.

كانت ضربة استشهاد استفانوس بمثابة قوّة دافعة للكنيسة لتطلقها إلى مدىً بعيد. فلم تكن اليهوديّة والسامرة فقط هي محطّ رحال الكنيسة الأولى ولكنها امتدّت إلى فينيقيّة وقبرس وأنطاكيه؛ «أَمَّا الَّذِينَ تَشَتَّتُوا مِنْ جَرَّاءِ الضِّيقِ الَّذِي حَصَلَ بِسَبَبِ اسْتِفَانُوسَ فَاجْتَازُوا إِلَى فِينِيقِيَةَ وَقُبْرُسَ وَأَنْطَاكِيَةَ» (أع١١: ١٩). ونتوقّف قليلاً عند تلك المدن الثلاث.

فينيقيّة، وهي لبنان الحاليّة، إنّها منطقة ساحليّة تقع على الساحل الشمالي لليهوديّة وبها موانئ تجاريّة مثل صيدون. أمّا قبرس فهي ثالث أكبر جزيرة في البحر المتوسّط بعد صقليّة وسردينيا وتقع على بعد حوالي ستين ميلاً على الساحل الغربي لسوريا. ولكن تبقى أنطاكية هي النقطة الأكثر إشراقًا في رداء الكرازة، فهناك ولدت كلمة "مسيحيين" وظلّت إلى يومنا هذا.

كانت هناك ست عشرة مدينة تسمّى أنطاكية ولكن تلك التي استقبلت البشارة الجديدة كانت أعظمهم على الإطلاق. إنّها كما أطلقوا عليها "المملكة الذهبيّة التي للشرق". [٢] كانت أنطاكيّة من أعظم ثلاث مدن في العالم بعد روما والإسكندريّة، وكانت من المدن التي تُسمّى "عالميّة" *cosmopolitan* وكان يصفها شيشرون بأنّها مكان الرجال المتعلّمين والدراسات الليبراليّة[٣] إلاّ أنّها كانت ترزح تحت ثقل ممارسات وثنيّة لا أخلاقيّة؛ فقد كانت تشتهر بعبادة دافني[٤] والذي كان هيكلها يبتعد حوالي خمسة أميال عن المدينة وسط بستان من أشجار الغار. كانت دافني فتاة تحوّلت إلى شجرة الغار إثر ملاحقة أبوللو لها بحسب الميثولوجيا الإغريقيّة القديمة. كانت كاهنات دافني مكرّسات لممارسة الخطيّة كنوع من التعبُّد لها.

---

[2] Wiersbe, Warren W. *The Bible Exposition Commentary*. Wheaton, Ill.: Victor Books, 1996, c1989, Acts 11: 9.

[3] MacArthur, John. *Acts*. Chicago: Moody Press, 1994, c1996, p.311.

[4] *The Acts of the Apostles*. Ed. William Barclay, lecturer in the University of Glasgow. The Daily study Bible series, Rev. ed. Philadelphia: The Westminster Press, 2000, c1976, p.88.

انتقلت الكنيسة من مجتمع متحفّظ دينيًّا إلى مجتمع يعاني من الانحلال الخلقي. الأوّل أصولي النزعة يركن إلى الحرف ويتحرّك وفقًا لضوابط تقليدٍ، بنَى برجه العاجي قادة اليهود، والثاني لا يُقيِّده ضابطٌ خلقيٌّ؛ فالانحلال عنده عبادةٌ وفقًا لتقليد عبادة دافني الوثنيّة. هنا وتقف البشارة أمام الأوّل لتبعث له بنسائم التحرير من الحرف، وتبعث للأخير بنسائم التحرُّر من قيد الخطيّة والفساد.

كانت البشارة في تلك المدن لليهود فقط في أوّل الأمر إذ كانوا «لاَ يُكَلِّمُونَ أَحَدًا بِالْكَلِمَةِ إِلاَّ الْيَهُودَ فَقَطْ» (أع١١: ١٩). ولعلّ هذا يرجع إلى أنّ المكان الذي كانت تنطلق منه الكرازة هو المجمع اليهودي وخاصّة أيام السبوت حيث يهود المدينة مجتمعين. ويروي لنا يوسيفوس أنّ أنطاكية كان بها حوالي ٢٥٠٠٠ يهودي في وقته.[٥]

ولسبب الانفتاح الأنطاكي على العالم كانت الفرصة مهيّأة لنقل البشارة لا لليهود المتحدّثين بالآراميّة فقط ولكن لليهود المتحدثين باليونانيّة أيضًا، وكانت الوسيلة هي بعض المسيحيين من الأصول القبرسيّة والقيروانيّة؛ «وَلكِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَوْمٌ، وَهُمْ رِجَالٌ قُبْرُسِيُّونَ وَقَيْرَوَانِيُّونَ، الَّذِينَ لَمَّا دَخَلُوا أَنْطَاكِيَةَ كَانُوا يُخَاطِبُونَ الْيُونَانِيِّينَ مُبَشِّرِينَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ» (أع١١: ٩٠). إنّ كلمة «اليونانيين» التي وردت بالآية السابقة جاءت في اليونانيّة Ἑλληνιστὰς وقد تباينت آراء المفسرين واللُّغويين، هل المقصود بها اليونانيين أو اليهود المتحدثين باليونانيّة، وهل هم من الدخلاء *proselytes* الذين آمنوا بيهوه وهو الرأي الذي يرجّحه Wordsworth. وفي المقابل نجد أنّ Meyer يرى أنهم من اليونانيين غير المختونين ولكن الأتقياء على شاكلة كورنيليوس وكان يسمح لهم بالحضور للمجمع.[٦] في كلّ الأحوال نجد أن الكنيسة كانت تنمو وتمتد

[5] Boice, James Montgomery. *Acts : An Expositional Commentary*. Grand Rapids, Mich.: Baker Books, 1997, p. 197.
[6] *The Pulpit Commentary: Acts of the Apostles Vol. I.* Ed. H. D. M. Spence-Jones. Bellingham, 2004, p.358.

وتتّسع وتعاين يدَ الله وتتمتّع بالعمل الإلهي الفائق للتصوُّر؛ «وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُمْ، فَآمَنَ عَدَدٌ كَثِيرٌ وَرَجَعُوا إِلَى الرَّبِّ» (أع١١: ٢١).

هيرودس والاضطهاد السياسي

في ذلك الوقت ظهر على المسرح شاول الطرسوسي كأحد اليهود الغيورين الذين أخذوا على عاتقهم مهمّة إبادة المسيحيّة وترويع المسيحيين. وقد حدثت في تلك الفترة نهضة كرازيّة للأمم كما هيّأت السماء إناءً لإعلان الكلمة للأمم، ولكن قبل الخوض في تفاصيل تلك القفزة من على أسوار أورشليم واليهوديّة إلى رواق الأمم (موضوع مقالنا القادم)، لابدّ لنا من ذكر حدث في غاية الأهميّة ألا وهو محاولات هيرودس أغريبا الأوّل إيقاف النمو في الجسد المسيحي، إذ نقرأ في سفر الأعمال (١٢: ١): «وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ مَدَّ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ يَدَيْهِ لِيُسِيءَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْكَنِيسَةِ، فَقَتَلَ يَعْقُوبَ أَخَا يُوحَنَّا بِالسَّيْفِ»

ولكن قبل أن نخوض في الحوار حول الاضطهاد الذي أشعل فتيلته هيرودس، سنتعرّف معًا، من خلال الجدول التالي، على الأباطرة والولاة الذين كانوا يشغلون المناصب القياديّة في ذلك الوقت:

الإمبراطور الروماني	ولاة فلسطين		
	اليهوديّة	بيريه والجليل	المقاطعات الأخرى
طيباريوس قيصر (١٤ ـ ٣٧) كاليجولا (٣٧ ـ ٤١) كلاوديوس (٤١ ـ ٥٤)	مارسيللوس (٣٧) هيرودس أغريبا الأوّل (٣٧ ـ ٤٤)	هيرودس أنتيباس (٤ ق م ـ ٣٩ م)	هيرودس فيليب الأوّل (٤ ق م ـ ٣٤ م)

إنّ هيرودس الذي ذكره القديس لوقا في هذا النصّ هو هيرودس أغريبا الأوّل (١٠ق م ـ ٤٤ م) ابن أرسطوبولس *Aristobulus* وبرينيس *Berenice* وحفيد

هيرودس الكبير. نال تعليمه في روما، وقد هرب منها في شبابه إلى فلسطين نتيجة تراكم الديون عليه هناك بعد أن عاش هناك حياة انحلال كاملة. سُجن في عهد طيباريوس قيصر نتيجة بعض تصريحاته المسيئة التي تمنّى فيها تولّي كاليجولا بدلاً من طيباريوس، وقد أُفرج عنه بعد موت طيباريوس قيصر بل وتم تعيينه حاكمًا على شمال فلسطين في عهد الإمبراطور كاليجولا وكذلك حظى بلقب "ملك". وقد أُضيفت إليه اليهوديّة والسامرة عام ٤١م كنتيجة لدعمه لتولّي كلاوديوس قيصر سدّة الإمبراطوريّة بعد موت كاليجولا. ونتيجة علاقته المتقلّبة بروما كان يحاول تقوية علاقاته باليهود على حساب الجماعة المسيحيّة الجديدة.[٧]

كان هيرودس أغريبا الأوّل مناورًا سياسيًّا حاذقًا استطاع أن يدرس النفسيّة اليهوديّة جيّدًا ووجد أن المدخل الملوكي إلى قلوب شعبه هو الدين. كان يعلن على الملأ أنّه يستمتع بالإقامة في أورشليم، وكان يراعي الناموس والتقاليد اليهوديّة وكان يُقدّم ذبائح في الهيكل يوميًّا، بل إنه قرأ فقرة من الناموس في عيد المظال كتكريم من قادة اليهود لخدماته الدينيّة، وهكذا ملك زمام الأمور فرسّخ دعائم حكمه.[٨] كما ذكرت المشناه، أثناء القيام بالدورة السنويّة لحمل البكور إلى الهيكل، أنّه "حينما وصلوا إلى جبل الهيكل حمل الملك أغريبا [هيرودس] سلّته على كتفيه ودخل بها إلى باحة الهيكل".[٩]

---

[7] MacArthur, John Jr. *The MacArthur Study Bible*. Nashville: Word Pub., 1997, c1997, Acts 12:1.

[8] Kistemaker, Simon J. and William Hendriksen. *New Testament Commentary : Exposition of the Acts of the Apostles*. New Testament Commentary. Grand Rapids: Baker Book House, 1953-2001, p.432.

[9] Herbert Danby, trans., *The Mishnah,* M Bikkurim 3:4 (London: Oxford University Press, 1933), p. 97. Cited by; Hughes, R. Kent. *Acts : The Church A fire*. Preaching the Word. Wheaton, Ill.: Crossway Books, 1996, p.164.

ويعلّق ماسون Mason على التقرُّب المُغرض من الديانة اليهوديّة والذي كان يحرص عليه هيرودس، فيقول: "إنّه استراتيجيّة حكم، وطريقة للحفاظ على دعم الجموع، أكثر من كونه التزامًا قلبيًّا تجاه التقليد اليهودي"[١٠].

ما الذي يرسّي دعائم الحاكم في مجتمع أصولي أكثر من قتل واضطهاد وتعقُّب من تراهم الجموع أنّهم أعداء الدين!! هنا ويبقى الحاكم هو حامي حمى الدين وبالتالي يحصد المغانم السياسيّة على طبق من ذهب ودون عناء.

على الجانب الآخر يرى بعض المفسّرين أنّ تلك الهجمة الشرسة من هيرودس على المسيحيين كانت بسبب المجاعة الحادثة آنذاك؛ «وَقَامَ وَاحِدٌ مِنْهُمُ اسْمُهُ أَغَابُوسُ، وَأَشَارَ بِالرُّوحِ أَنَّ جُوعًا عَظِيمًا كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَصِيرَ عَلَى جَمِيعِ الْمَسْكُونَةِ، الَّذِي صَارَ أَيْضًا فِي أَيَّامِ كُلُودِيُوسَ قَيْصَرَ». وكأنّ المجاعة هي غضب إلهي بسبب الدعوة المسيحيّة، كما حاول أن يصوّر بعض المناهضين للدعوة المسيحيّة من قادة اليهود. ولأنّ هيرودس أغريبا كان يهوديًّا غيورًا كما أورد يوسيفوس. يمكن أن يكون لهذا الرأي موقعه ولكن بجانب دعم موقفه السياسي كما أسلفنا.[١١]

لقد كان موت استفانوس كما تحدّثنا في المقال السابق بأيدي الغوغاء من اليهود الذين تمّ تحريضهم في المجمع، إلاّ إننا ههنا أمام أمْرٍ جديد، فالعقوبة هنا صادرة عن الملك هيرودس، وهو يعني أنّ الصدام مع المسيحيّة أصبح علنًا وبمباركة الملك وإرادته وهو الذي يمثّل قيصر في تلك البلاد.

يكتب القديس يوحنّا الذهبي الفم عن تلك الحادثة فيقول: "يا له من شكل جديد للتجارب. لاحظوا ما قلته منذ البداية، كيف اختلطت الأشياء معًا، كيف تناوبت الراحة مع الضيقة في النسيج الكلّي للتاريخ. ليس فقط

[10] Mason, Steve. Josephus and the New Testament. Peabody, Mass.: Hendrickson Publishers, 1992, ch 4.
[11] Mills, M.S. *The Acts of the Apostles*. Dallas: 3E Ministries, 1997, c1987, Acts 12:3

اليهود، ولا السنهدرين، ولكن الملك. إنّ القوّة تشتد والحرب تستعر، كلّما حاولت استرضاء اليهود". (١٢)

بدأ هيرودس حملته المحمومة ضدّ المسيحيّة بقتل القديس يعقوب. لم يسترسل القديس لوقا في ذكر حادثة استشهاد القديس يعقوب، إلاّ أنّ يوسابيوس القيصري يروي لنا عن ملابسات استشهاده، نقلاً عن أحد الأعمال المفقودة لكليمندس السكندري وهو "وصف المناظر" Ὑποτυπώσεις، إذ يقول إنّ كليمندس تسلّم هذا التقليد من سابقيه، ومفاده أنّ من كان منوطًا به قيادة يعقوب إلى مكان الحُكم، حينما رأى يعقوب حاملاً شهادته، تحرّك قلبه، واعترف أنه أيضًا مسيحي، فاقتيدا معًا. وفي الطريق، توسَّل إلى يعقوب لكي يسامحه، وبعد برهة من التفكير، أجابه: "سلامٌ لك" وقبّله، وقد استشهدا معًا. (١٣)

ويروي لايتفوت Lightfoot قصّة أخرى نقلاً عن Rabanus Maurus وهي أنّ القديس يعقوب في ذلك الوقت قد أتمّ صياغة قانون إيمان الرسل والتي تنتهي كلّ فقرة منها بعبارة "وفي يسوع المسيح، ابنه الوحيد، ربّنا" وقد كان هذا سببًا كافيًا لقتله. (١٤)

كان القديس يعقوب أوّل من استشهد من الرُسُل وهو الوحيد منهم الذي دوّن العهد الجديد شهادته. كان من الثلاثة المُقرّبين من المسيح، الذين عاينوا مجده على جبل التجلّي (انظر مت١٧: ١) والذين كانوا بجواره إبّان إقامة ابنة يايرس (انظر مر٥: ٣٧)، حتّى إنه كان أحد الذين رافقوه في ليلة الجسثيمانيّة (انظر مت٢٦: ٣٧).

---

[12] *The Nicene and Post-Nicene Fathers,* edit. by: Schaff, Philip,, First Series Vol. XI. (Oak Harbor: 1997), *Homilies on the Acts*, xxvi, p. 168

[13] *The Nicene and Post-Nicene Fathers*, op.cit., Eccl. Hist., ii. 9, p. 110

[14] Lightfoot 'Works,' vol. viii. p. 282, cited by; *The Pulpit Commentary: Acts of the Apostles Vol. I.* Ed. H. D. M. Spence-Jones. Bellingham, p.378

يكتب القديس جيروم: "إنّ كنيسة المسيح تأسسّت بسفك دمائها، لا [دماء] الآخرين. باحتمال الاعتداءات لا بافتعالها. وبينما كانت الكنيسة تنمو بالاضطهاد، كانت تُتوّج بالاستشهاد".[١٥]

وبنفس المنطق الإسخاطولوجي يقول القديس يوحنّا الذهبي الفم: "حياة المسيحي يجب أن تكون مُخضّبة بالدماء، بالطبع ليس أن يريق دماء الآخرين، بل أن يكون مستعدًّا أن يراق دمه هو. إذًا لنُرِقْ دماءنا، عندما يكون هذا لأجل المسيح".[١٦]

هكذا صارت دماء يعقوب حجرًا لبناء صرح الكنيسة الأبدي وتاجًا على هامتها أبد الدهور.

لقد استشهد القديس يعقوب بالسيف في إشارة إلى أنّ جريمته كانت قيادة الجموع لعبادة آلهة غريبة، وهو ما نقرأه في نصّ التثنية: «إِنْ سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَسْكُنَ فِيهَا قَوْلاً: قَدْ خَرَجَ أُنَاسٌ بَنُو لئِيمٍ مِنْ وَسَطِكَ وَطَوَّحُوا سُكَّانَ مَدِينَتِهِمْ قَائِلِينَ: نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى لمْ تَعْرِفُوهَا. وَفَحَصْتَ وَفَتَّشْتَ وَسَأَلتَ جَيِّداً وَإِذَا الأَمْرُ صَحِيحٌ وَأَكِيدٌ قَدْ عُمِل ذَلِكَ الرِّجْسُ فِي وَسَطِكَ. فَضَرْباً تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلكَ المَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ» (تث١٣: ١٢ ـ ١٥).

القبض على بطرس

لم يكتف هيرودس بقتل يعقوب، إذ رأى أن شعبيّته تزداد وتعلو على أشلاء المسيحيين، وكانت خمر النجاح تُذهِبُ عقله حتى الثمالة، فكان قراره: القبض على بطرس ...

«وَإِذْ رَأَى أَنَّ ذلِكَ يُرْضِي الْيَهُودَ، عَادَ فَقَبَضَ عَلَى بُطْرُسَ أَيْضًا. وَكَانَتْ أَيَّامُ الْفَطِيرِ *Matzah*. وَلَمَّا أَمْسَكَهُ وَضَعَهُ فِي السِّجْنِ، مُسَلِّمًا إِيَّاهُ إِلَى أَرْبَعَةِ

---

[15] Water, Mark. *The New Encyclopedia of Christian Quotations*. Alresford, Hampshire: John Hunt Publishers Ltd, 2000, p.724

[١٦] تفسير رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين، القديس يوحنا الذهبي الفم، ترجمة: د. سعيد حكيم يعقوب (المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيّة: ٢٠١٠)، ص١٠٧.

أَرَابِعَ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيَحْرُسُوهُ، نَاوِيًا أَنْ يُقَدِّمَهُ بَعْدَ الْفِصْحِ إِلَى الشَّعْبِ. فَكَانَ بُطْرُسُ مَحْرُوسًا فِي السِّجْنِ، وَأَمَّا الْكَنِيسَةُ فَكَانَتْ تَصِيرُ مِنْهَا صَلاَةٌ بِلَجَاجَةٍ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِهِ» (أع١٢: ٢ ـ ٥).

كان بطرس بالنسبة لهيرودس صيدًا ثمينًا لما يُشكِّله في الجماعة المسيحيّة من ثقل، ولما له من مكانةٍ في قلوب الجميع، فضلاً عن كونه أحد الذين خرجوا من السجن سابقًا بطريقة معجزيّة، وكأنّ هيرودس يتحدّى قدرات الربّ يسوع المكروز باسمه من خلال تشديدات أمنيّة حازمة.

لم يستطع هيرودس قتل بطرس بعد القبض عليه مباشرةً، فهو، كما تحدّثنا سابقًا، يرتدي عباءة اليهودي المتديّن تقرُّبًا من الشعب، وكما يقول هاكيت Hackett "إنّ اليهودي المتشدِّد يعتبر الحكم على أحد بالموت إبّان الاحتفال الديني بمثابة تدنيس له".[١٧] زُجَّ ببطرس في السجن تمهيدًا لتقديمه ذبيحة لليهود بعد الفصح.

من غير المرجّح أن يكون احتجاز بطرس تمّ في تخوم الهيكل كما حدث مع الرسل (انظر أع ٥: ١٨) نظرًا لأنّ مَنْ أمر بالقبض عليه هو الملك شخصيًّا. في المقابل كان الاحتجاز يتمّ عادة في برج أنطونيا الذي بناه الرومان في الركن الشمالي الغربي من الهيكل (من الخارج)؛ هناك كان بطرس سجينًا موثقًا بالسلاسل.[١٨]

بدأت النظرة إلى المسيحيّة تحمل تخوُّفًا من قبل السلطة المدنيّة الممثلة في هيرودس الملك، وما نما إلى مسامعه عن هروب الرسل من السجن من قبل، صدّر له شعورًا بخطورة تلك الجماعة الحديثة العهد، لذا كان التعامل مع بطرس تعاملاً يفوق جريرته التي اتُّهم بها.

---

[17] Robertson, A.T. Word *Pictures in the New Testament*. Oak Harbor, Acts 12:3.
[18] Balge, Richard D. *Acts*. The People's Bible. Milwaukee, Wis.: Northwestern Pub. House, 1988, p.128.

كان بطرس تحت حراسة مشدّدة، فما حدث سابقًا[١٩] لن يتكرَّر، هكذا أصدر هيرودس أوامره. كان السجن المُشدّد لعتاة الإجرام ومحترفي الشغب يعني حراسة أربعة أرابع من العسكر، أي أربعة مجموعات من الحراسة تتكوّن كلُّ مجموعةٍ من أربعة جنود؛ اثنين يُقيَّدون مع السجين بالسلاسل واثنين يحرسان الباب من الخارج. ويتمّ التبادل على مدار اليوم كلّه.

هنا ونتوقّف قليلاً، إذ لا نستطيع في سردنا لما لاقته الكنسية الأولى من الاضطهاد أن نغفل ردود الأفعال الكنسيّة؛ فالصلاة والكرازة كانتا قوّة المسيحيّة التي جابهت بها النيران المستعرة؛ فالأولى تُذهب الخوف وتقوي الشعور بالحياة الأبديّة، والثانيّة تفعّل الحياة المسيحيّة وتجعل منها شجرة مثمرة تقدّم أثمارًا حلوة المذاق لمجد الله الثالوث، وبهما يكتمل المسيحي ويقدر أن يصمد أمام أي إعصار قادم من هاوية إبليس.

يكتب لنا القديس لوقا عن ردّ فعل الكنيسة تجاه القبض على بطرس؛ «فَكَانَ بُطْرُسُ مَحْرُوسًا فِي السِّجْنِ، وَأَمَّا الْكَنِيسَةُ فَكَانَتْ تَصِيرُ مِنْهَا صَلاَةٌ بِلَجَاجَةٍ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِهِ» (أع١٢: ٥). في البيت الشهير في الكنيسة الأولى؛ بيت مريم والدة القديس مرقس «كَانَ كَثِيرُونَ مُجْتَمِعِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ» (أع١٢: ١٢).

الصلاة كانت سلاح المسيحي ضدّ أي اضطهاد. إن كانت الكرازة قائمة على قيامة الربّ، هكذا يجب أن تكون الصلاة متخطيّة الخوف من الموت. إنْ كفّت الكنيسة عن الصلاة تركت المجال للشيطان أن ينفذ خططه ويلقي بالرعب والفزع والشكوك في قلوب البسطاء والضعفاء. إنّ صلاة الكنيسة حصنٌ لكلِّ عضوٍ في الكنيسة لئلا يتراجع عن قبوله الحياة الأبديّة مهما كلّفه الأمر. وحينما تجتمع الكنيسة للصلاة فإنّها تقيم ليتورجيا ممسوحة بدموع الرجاء.

---

[١٩] انظر: أع ٥: ١٩

جاء الملاك في رداء النور وأيقظ بطرس النائم والذي يبدو وكأنّه يحلم بتلك اللحظة التي يلتقي فيها الربّ في ملكوته، ولكن الرحلة لن تتوقف عند تلك المحطّة، فهناك رسالة عليه إتمامها قبل أن ينطلق من الجسد.

فُتحت الأبواب .. سقطت السلاسل .. غُشي على الحرّاس .. فشلت كلّ الاستعدادات الأمنيّة أمام مشيئة الله، وخرج بطرس حرًّا طليقًا يهرول إلى الكنيسة ليحمل لهم بشرى العون الإلهي الذي يلامس كلّ تحركاتهم أينما حلّوا.

حينما تُصلّي الكنيسة فإنّ استجابة الله قد تكون استشهاد يعقوب وقد تكون تحرير بطرس، هي هي المشيئة الإلهيّة دونما تغيير. فالله ليس قالبًا جامدًا ذا ردود أفعال واحدة ولكنه إله يعمل على احتضان كنيسته في مجده الأبدي، من خلال توزيع الأدوار على كلّ عضو في الكنيسة، ليتاجر ويربح ويدخل إلى فرح السيّد.

حينما سمع هيرودس الملك عن هروب بطرس كانت غضبته شديده إذ أمر بقتل الجنود الموكلين بحراسة بطرس، إذ لم يحتمل انتصار الله عليه، إذ رأى أنه أشبه بالآلهة، وهو ما يفسّر قبوله لكلمات مديح الشعب له لاحقًا «هذَا صَوْتُ إِلهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ!» (أع١٢: ٢٢).

كان القانون الروماني يقضي بأنه إن هرب أحد المسجونين تنتقل عقوبته إلى الحارس (الحرّاس) الموكلين بحراسته، وإن كانت العقوبة هي القتل.[٢٠]

موت هيرودس

حينما أراد الإسكندر الأكبر أن يتقرّب من المصريين، ذهب إلى واحة سيوه حيث معبد آمون، وهناك تمّ تنصيبه ابنًا للإله!! وصدّق هذا الأمر. ولعلّ هيرودس كان يسترجع حياة ذاك القائد المغوار ليسير على نهجه؛ فبدأ بالتقرُّب من اليهود على قاطرة الدين، وانتهى بقبوله إلوهةً من يدِ الشعب. وكما كتب

[20] Wiersbe, Warren W. *The Bible Exposition Commentary*. Wheaton, Ill.: Victor Books, 1996, c1989, Acts 12:18

أحدهم: "إنّ صناعة الإله هي السمّ المُقدّس الذي يعطونه للإنسان لكي يتعالى على البشر. ويموت لا هو إنسان ولا هو إله!!!"

يدوّن لنا القديس لوقا حادثة موت هيرودس أغريبا باختصار وإيجاز إذ يقول: «فَفِي يَوْمٍ مُعَيَّنٍ لَبِسَ هِيرُودُسُ الْحُلَّةَ الْمُلُوكِيَّةَ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُلْكِ وَجَعَلَ يُخَاطِبُهُمْ. فَصَرَخَ الشَّعْبُ: 'هَذَا صَوْتُ إِلَهٍ لاَ صَوْتُ إِنْسَانٍ!'. فَفِي الْحَالِ ضَرَبَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ لأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ لِلَّهِ فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ» (أع١٢: ٢١ ـ ٢٣).

إنّ التعبير الكتابي الذي يصف موت هيرودس بضربة الربّ له إذ صار مأكلاً للدود، نجد له مثيلاً في سفر مكابيين الثاني (٢مك٩: ٥، ٩)، في الحديث عن موت أنطيوخس إبيفانس Antiochus Epiphanes، مُضطهِد اليهود، الذي ضربه الربّ «ضربة معضلة غير منظورة، فإنه لم يفرغ من كلامه ذاك، حتّى أخذه داءٌ في أحشائِه لا دواء له ومغصٌ أليمٌ في جوفه ... حتّى كانت الديدان تنبع من جسد ذلك المنافق ولحمه يتساقط وهو حيٌّ بالآلام والأوجاع وصار الجيش كلّه يتكرّه نتن رائحته».

كذلك نقرأ عن سيلاّ Sylla، الحاكم الروماني المستبد، أنّه كان يعاني من نفس المرض. ويصف لنا هيرودوت المؤرّخ الشهير موت فيريتيما Pheretima ملكة سيرين Cyrene، قائلاً: "انتفخ جسدها بالديدان التي أكلت لحمها وهي لا تزال حيّة".[٢١]

ونترك الكلمات ليوسيفوس المؤرّخ اليهودي ليسرد لنا تلك الحادثة بالتفصيل، إذ يقول:

> "حينما حكم [هيرودس] أغريبا [الأوّل] على اليهوديّة، جاء إلى مدينة قيصريّة والتي كانت تُدعَى سابقًا برج ستراتو، وهناك أقام بعض العروض على شرف قيصر، حينما نما إلى علمه أنّ هناك ثمّة احتفال لتقديم النذور من أجل سلامته [قيصر]. اجتمع في الاحتفال عددٌ كبيرٌ

[21] Vincent, Marvin Richardson. *Word Studies in the New Testament*. Bellingham, WA: Inc., 2002, Vol. I, p. 512.

من الشخصيّات العامّة وهو الأمر الذي يضفي إكرامًا لمقاطعته. في اليوم الثاني من العروض، ارتدى رداءً مصنوعًا كليّة من الفضّة وذا نقوش بديعة، وقدم إلى المسرح باكرًا ذاك اليوم؛ إذ بدأ الرداء الفضّي يلمع عند سقوط أشعة الشمس عليه، والتي بدت مبهرة، وكانت من الألق حتى إنها كانت تصيب بالرعب أولئك الذين أرادوا أن ينظروا إليه مباشرةً. وقتها صرخ مادحوه، واحدٌ من هنا وواحدٌ من هناك، إنه إله، وأضافوا: 'ارحمنا لأننا كرّمناك سابقًا كإنسانٍ، ولكن من الآن فصاعدًا سننظر إليك كفائق للطبيعة المائتة'. آنذاك لم يحاول الملك انتهارهم ولا رفض مديحهم الشرير.

وحينما رفع عينيه، رأى بومة تقف على حبلٍ فوق رأسه، وقتها أدرك أن تلك البومة هي رسول الأخبار السيّئة ... وسقط في حزن عميق. بدأ ألمٌ شديد يعتصر معدته، وقد اشتدّ عليه بقسوة. وقتها نظر إلى أصدقائه قائلاً: 'أنا، يا من تعتبرونني إلهًا، أُمرت أن أرحل عن هذه الحياة، وقد أرادت العناية الإلهيّة دحض كلامكم الكاذب عنّي الآن، وأنا، يا من دعوتموني خالدًا، أهرع الآن خارجًا بالموت. ولكنّي أقبل ما شاءته العناية الإلهيّة، إن كانت تُسرُّ الله، لأننا لم نمرض في حياتنا، ولكن عشنا في حياة رغدة وسعيدة'.

حينما قال تلك الكلمات اشتدّ عليه الألم، فحملوه إلى القصر، وقد انتشرت الإشاعة سريعًا أنه على وشك الموت. جلست الجموع في المسوح مع زوجاتهم وأطفالهم، كقانون بلادهم، يطلبون من الله تعالى الملك. وقد انتشر النحيب والنواح. كان يرقد الملك في عليّة، وقد رأى الجموع وهي ساجدة على الأرض، فلم يتمالك نفسه من البكاء. وبينما كان ألم الملك يزداد عنفًا في معدته، لمدّة خمسة أيام، رحل عن الحياة".[٢٢]

[22] *Antiq*., XIX, viii. Cited by; Mills, M.S. *The Acts of the Apostles*. Dallas: 3E Ministries, 1997, c1987; Acts 12:20.

مات هيرودس الذي أراد بالمسيحيّة سُوءًا وبقيت راية المسيحيّة ترتفع وتعلو يومًا بعد يومٍ إذ أنّ «كَلِمَةَ اللهِ فَكَانَتْ تَنْمُو وَتَزِيدُ» (أع١٢: ٢٤).

هُوَذَا الأُمَمُ كَنُقْطَةٍ مِنْ دَلْوٍ،
وَكَغُبَارِ الْمِيزَانِ تُحْسَبُ.
هُوَذَا الْجَزَائِرُ يَرْفَعُهَا كَدُقَّةٍ [غبارٍ ناعمٍ]
كُلُّ الأُمَمِ كَلاَ شَيْءٍ قُدَّامَهُ.
مِنَ الْعَدَمِ وَالْبَاطِلِ تُحْسَبُ عِنْدَهُ.

(إش٤٠: ١٥، ١٧)

يُتبع